ارتقاء في التعريض إلى ضرب منه قريب من الصريح . وهو المسمى في الكناية بالإشارة . كانت مقالة الذين من قبل مماثلة لمقالة المخاطبين فإذا كانت هي سبب ما ذاقوه من الوبال فيوشك أن يذوق مماثلوهم في المقالة مثل ذلك الوبال .

فاسم الإشارة عائد إلى المذكور من الوبال والعذاب الأليم .

فهذا عد لكفر آخر من وجوه كفرهم وهو تكذيبهم الرسول A وتكذيبهم بالقرآن فإن القرآن بينة من البينات لأنه معجزة .

والباء للسببية في موقع العلة . والضمير الشأن لقصد تهويل ما يفسر الضمير وهو جملة ( كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ) إلى آخرها .

والاستفهام في ( أبشر ) استفهام إنكار وإبطال فهم أحالوا أن يكون بشر مثلهم يهدون بشرا أمثالهم وهذا من جهلهم بمراتب النفوس البشرية ومن يصطفيه ا منها ويخلقه مضطلعا بتبليغ رسالته إلى عباده . كما قال ( وقالوا ما لهذا الرسول يأكل ويمشي في الأسواق ) وجهلوا أنه لا يصلح لإرشاد الناس إلا من هو من نوعهم قال تعالى ( قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ) ولما أحالوا أن يكون البشر أهلا لهداية بشر مثله جعلوا ذلك كافيا في إعراضهم من قبول القرآن والتدبر فيه .

والبشر : اسم جنس للإنسان يصدق على الواحد كما في قوله تعالى ( قل إنما أنا بشر مثلكم ) ويقال على الجمع كما هنا . وتقدم في قوله ( وقلن حاش ا ما هذا بشرا ) في سورة يوسف وفي سورة مريم عند قوله ( فتمثل لها بشرا سويا ) .

وتنكير ( بشر ) للنوعية لأن محط الإنكار على كونهم يهدونهم وهو نوع البشرية .

فلذلك اعتقدوه حتى ذلك قالوا وما الإنكار تقوى لقصد الخبر على إليه المسند وتقديم A E أقدموا على الكفر برسلهم إذ قد اعتقدوا استحالة إرسال ا إياهم فجزموا بكذبهم في دعوى الرسالة فلذلك فرع عليه ( فكفروا وتولوا ) .

والتولي أصله : الانصراف عن المكان الذي أنت فيه وهو هنا مستعار للإعراض عن قبول دعوة رسلهم وتقدم عند قوله تعالى ( ثم توليتم من بعد ذلك ) في سورة البقرة .

( واستغنى ) غني فالسين والتاء للمبالغة كقوله ( أما من استغنى ) . والمعنى : غني ا عن إيمانهم قال تعالى ( إن تكفروا فإن ا غني عنكم ) .

والواو واو الحال أي والحال أن ا غني عنهم من زمن مضى فإن غني ا عن إيمانهم مقرر في الأزل .

ويجوز أن يراد : واستغنى ا عن إعادة دعوتهم لأن فيما أظهر لهم من البينات على أيدي رسلهم ما هو كاف لحصول التصديق بدعوة رسلهم لولا المكابرة فلذلك عجل لهم العذاب .

وعلى الوجهين متعلق ( استغنى ) محذوف دل عليه قوله ( فكفروا ) . وقوله ( ب البينات ) والتقدير : واستغنى ا عن إيمانهم .

وجملة ( وا غني حميد ) تذييل أي غني عن كل شيء فيما طلب منهم حميد لمن امتثل وشكر .

( زعم الذين كفروا لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على ا يسير [ 7 ] ) هذا ضرب ثالث من ضروب كفر المشركين المخاطبين بقوله ( ألم يأتكم ) الخ وهو كفرهم بإنكارهم البعث والجزاء .

والجملة ابتدائية . وهذا الكلام موجه إلى النبي A بقرينة قوله ( قل بلى ) . وليس هذا من الإظهار في مقام الإضمار ولا من الالتفات بل هو ابتداء غرض مخاطب به غير من كان الخطاب جاريا معهم .

وتتضمن الجملة تصريحا بإثبات البعث وذلك الذي أوتي إليه فيما مضى يفيد بالحق في قوله ( خلق السماوات والأرض بالحق ) وبقوله ( يعلم ما في السماوات والأرض ) كما علمته آنفا .

والزعم : القول الموسوم بمخالفة الواقع خطأ فمنه الكذب الذي لم يتعمد قائله أن يخالف الواقع في ظن سامعه . ويطلق على الخبر المستغرب المشكوك في وقوع ما أخبر به وعن شريح : لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا " أراد بالكنية الكناية " . فبين الزعم والكذب عموم وخصوص وجهي .

وفي الحديث " بئس مطية الرجل إلى الكذب زعموا " أي قول الرجل زعموا كذا . وروي أهل الأدب أن الأعشى لما أنشد قيس بن معد يكرب : الكندي قوله في مدحه : .

ونبئت قيسا ولم أبله ... كما زعموا خير أهل اليمن غضب قيس وقال له " وما هو إلا الزعم "